الانزياح الدلالي لأَفعال الإلقاء في السياق القرآني

م.د. سعدون إبراهيم عبيد عواد
م.د. عصام علي خلف محمود
المديرية العامة للتربية في محافظة الأَنبار
المديرية العامة للتربية في محافظة الأَنبار

SEMANTIC SHIFT IN THE VERBS OF CASTING IN THE QUR'AN IC CONTEXT

Dr. Sadoon Ebraheem Obeid
Dr. Essam Ali Khalaf
Directorate of Education of Anbar province
1980sadoon@gmail.com
essamalikh@gmail.com

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 5 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

الملخص

تعد أَفعال الإلقاء في القرآن الكريم أَفعال متقاربة في أَصل الدلالة، وهي ما سنصطلح عليها بتسميتها ب (أَفعال الحقل الدلالي) وهي): أَلقى، ورمى، وقذف، ونبذ، وطرح) غير أَنَّ التأمل في سياقاتها يبين أَنَّ كل فعل يؤدي وظيفة دلالية خاصة، وإِنَّ العدول عن فعل إلى آخر لم يكن قائمًا على الترادف، وإِنَّما على مراعاة مقتضى المقام، بما ينسجم مع السياق القرآني .

وتنبع أَهمية هذا البحث من أَنَّه يسعى إلى دراسة هذه الأَفعال في ضوء الانزياح الدلالي، من خلال تتبع انتقالها من معناها المعجمي الأَصلي إلى دلالاتها السياقية مع الاحتفاظ بشيء من معناه الأَصلي في الاستعمال القرآني، والكشف عن سر اختيار كل فعل في موضعه دون غيره من الأَفعال المتقاربة .

ولا يقتصر البحث على بيان الفروق المعجمية بين هذه الأَفعال، بل يتجاوز ذلك إلى تحليل العلاقات القائمة بين الفعل وسياقه، وتسهم في بناء الدلالة النهائية للنص القرآني،

واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقراء مواضع أَفعال الإلقاء في القرآن الكريم، والرجوع إلى كتب اللغة والتفسير والبلاغة، ثم تحليل الشواهد القرآنية تحليلاً يكشف عن خصائص كل فعل، ومواضع انزياحه الدلالي، وأَثر ذلك في توجيه المعنى .

وانتظم البحث في تمهيد وخمسة مباحث، يسبقها هذه المقدمة، ويعقبها خاتمة تتضمن أَهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وثبت بالمصادر والمراجع.

معنى الانزياح في اللغة، يقول الأَزهري في مادته: (قَالَ بَعضهم زُحزح أَي نُحّي وبُعِّد، فَقَالَ بَعضهم: هَذَا مُكَرر من بَاب المعتلّ. وَأَصله من زاح يزِيح إِذا تأَخّر ... وَقَالَ ابْن دُرَيْد يُقَال زحّه يَزحُّه إِذا دَفعه)[1]، أَي أَبعده، يقول ابن فارس: (زحَّ: الزَّاءُ وَالْحَاءُ يَدُلُّ عَلَى الْبُعْدِ. يُقَالُ زُحْزِحَ عَنْ كَذَا، أَيْ بُوعِدَ) [2] .

(١) تهذيب اللغة (باب الحاء والزاي): ٣ / ٢٦٧ .

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٣ / ٧ .

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ ﴾[1]، يقول ابن عطية في تفسير الآية: (زُحزِحَ معناه أُبعد، والمكان الزحزح البعيد)[2]، إذن المعنى واضح بأَنَّه يدور حول الإبعاد والتنحي، وهو ما يقابل العدول وهذا ما سيكون موضع اهتمامنا من خلال ابتعاد، أَو إبعاد بعض الأَلفاظ واحلال الفاظ يقتضيها السياق القرآني .

أَمَّا الدلالة، فهي مصدر كذلك للفعل دلَّ يقول الأَزهري: (دَلَّ يَدُلُّ إذا هَدَى ... دَلَلْتُ بِهَذَا الطَّرِيق دَلالةً، أَي عرفتُه، ودلَلْتُ بِهِ أَدُلّ دَلالة) [3]، أَي يدور معنى مادتها حول الكشف عن شيء معين وإيصال المبتغى إليه .

وهذا ما سيكون محور البحث من حيث الكشف عن الأَلفاظ التي توصل إلى المعنى المراد من خلال دلالتها السياقية، إذ لا يظهر المعنى الحقيقي للكلمة ما لم تتحد مع السياق الذي ترد فيه[4]، وهذ ما يُؤثر بإبعاد معانٍ أُخرى كان يمكن أَنْ تؤديها تلك الأَلفاظ في مناسبات وسياقات أُخرى .

ولا يُراد بالانزياح هنا الخروج عن المعنى إلى معنى مجازي فحسب، بل يراد به أَيضًا تخصيص الدلالة، أَو توسيعها، أَو تقويتها بحسب المقام. فالفعل الواحد قد يحتفظ بأصله الدلالي، لكنَّه يكتسب في السياق القرآني أَبعادًا جديدة لا تظهر في الاستعمال المعجمي المجرد.

ومن ثمَّ فإنَّ دراسة هذه الأَفعال لا تقوم على افتراض الترادف الذي ينكره الكثير من اللغويين لا سيما في القرآن الكريم[5].

واقتصر البحث على الأَفعال التي تدل في أَصل وضعها اللغوي على الإلقاء أَو الطرح أَو الرمي، وهي ما سنطلق عليها أَفعال الحقل الدلالي: (ألقى، رمى، قذف، نبذ، طرح)، ولم يتناول أَفعالًا مثل (خرَّ، سقط، وقع، انكب)، لأَنَّ هذه الأَفعال تدل في أَصلها على وقوع الحدث أَو السقوط، ولا تدل على فعل الإلقاء الصادر من فاعل، وإنَّما تصف نتيجة الحركة أَو مآلها، وهو ما يخرجها عن حدود الحقل الدلالي الذي يتناوله البحث، وكذلك استبعدت أَفعالًا أُخرى نحو (رجم) التي

(١) سورة آل عمران من الآية: ١٨٥ .
(٢) المحرر الوجيز: ١ / ٥٥٠ .
(٣) تهذيب اللغة (باب الدال والام) ١٤: / ٤٨ .
(٤) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٣٨ .
(٥) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٢٥_ ٢٩ .

تدل في الأَصل على الرمي بالحجارة، ويخرج منه دلالات أُخرى، وما شابهه من الأَفعال، لأَنَّه يوسع مجال البحث، وهذا الحصر الذي حددنا قد سبقنا به الشيخ حسن المصطفوي عندما تحدث عن (رمى) عقد مقارنة يسيرة من حيث المعنى العام لا تتجاوز أَربعة أَسطر مع الأَفعال (نبذ، وأَلقى، وطرح، وقذف) [1] .

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٤ / ٢٥٣.

Abstract:

This study examines the semantic shift of five Qur'anic verbs of casting: alqā (ألقى), ramā (رمى), qadhafa (قذف), nabatha (نبذ), and ṭaraḥa (طرح). Although these verbs share a general semantic field, their Qur'anic contexts reveal distinct semantic and rhetorical functions. Using a descriptive - analytical approach, the study traces their occurrences in the Qur'an and examines them through linguistic, exegetical, and rhetorical sources. It explores how each verb retains part of its basic lexical meaning while acquiring contextual dimensions determined by the surrounding discourse. The study also highlights the role of Qur'anic context in directing meaning and explains the rhetorical significance of selecting a particular verb rather than another. Thus, the study demonstrates the precision of Qur'anic expression and the contextual distinction among seemingly related verbs.

Keywords: Semantic Shift; Verbs of Casting; Qur'anic Context; Semantic Field; Qur'anic Expression.

المبحث الأَول: الفعل (أَلقى)

تنتمي أَفعال الإلقاء في القرآن الكريم إلى حقل دلالي يجمعها أَصل معنوي عام، هو نقل شيء من جهة إلى أُخرى بإرادة الفاعل، ويدل الإلقاء في أَصل اللغة على وضع الشيء أَو إيصاله إلى موضع معين . يقول ابن الجوزي (والأَصل في الإلقاء رمي الشيء)[١]، ويقول ابن منظور: (أَلْقَيْتُه أَي طَرحته. تَقُولُ: أُلقِه مِن يدِك وأَلقِ بِهِ مِنْ يَدِكَ) [٢]، ويقول ابن فارس: (ألقَيْتُه: نبذْتُه إلقاءً. والشَّيء الطَّريح لَقىً)[٣]، وقال الزبيدي: (وأَلْقَى الشيءَ إِلْقَاءً: طَرَحَهُ حيثُ يَلْقاهُ، ثمَّ صارَ فِي التَّعارفِ اسْماً لكلِّ طرْحٍ)[٤]، نلحظ من خلال المدلول اللغوي للفعل في كتب اللغة بأَنَّه يأتي للطرح والنبذ، والرمي دون تخصيصه بدلالة معينة لدى اللغويين، أَمَّا في السياق القرآن فنشهد انزياحا لبعض المدلولات وتصدير معنى مناسبًا للسياق الذي يأتي به الفعل في موضعه .

وقد درج كثير من اللغويين على بيان الفروق الدقيقة بين الأَلفاظ المتقاربة، مؤكدين أَنَّ العربية لا تضع لفظين مختلفين لمعنى واحد من جميع الوجوه، وإِنَّما يختص كل لفظ بملمح دلالي يميزه من غيره. ويظهر ذلك جليًا في الاستعمال القرآني؛ إذ لا يرد فعل مكان آخر إِلَّا لحكمة يقتضيها المقام .

وذكر ابن الجوزي[٥]سبعة معانٍ للفعل أَلقى في القرآن الكريم هي:

١. الرمي، ٢. الوسوسة، ٣. الخلق، ٤. الانزال، ٥. الدخول، ٦.الإجلاس، ٧. الإعلام.

إِذن نحن بصدد الكشف عن انزياح دلالة الفعل أَولاً عن معانيه التي ورد فيها في القرآن الكريم بمادته (أَلقى)، ومن ثمَّ الانزياح عن مادة الأَفعال الأُخرى التي تحمل دلالة قريبة مما اصطلحنا عليه ب (أَفعال الحقل الدلالي) نحو: الفعل (رمى) الذي يقتضي بتوجيه الشيء نحو غاية معينة، أَو هدف منشود، ويغلب فيه معنى الإِصابة أَو القصد[٦]، وعن الفعل (قذف) الذي يغلب عليه معنى الرمي بقوة وشدة[٧]، ويقترن في مواضع كثيرة بما يحدث أَثرًا عنيفًا في الملقى

(١) نزهة الأَعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ١٥٦ .
(٢) لسان العرب (فصل اللام): ١٥ / ٢٥٧ .
(٣) معجم مقايس اللغة: ٥ / ٢٦١ .
(٤) تاج العروس (لقي): ٣٩ / ٤٧٧ .
(٥) نزهة الأَعين النواظر: ١٥ - ١٥٧ .
(٦) ينظر: لسان العرب (فصل الراء): ١٤ / ٣٣٦ .
(٧) ينظر: لسان العرب (فصل القاف): ٩ / ٢٧٧ .

إليه وعن (نبذ) الذي يتضمن معنى الطرح المصحوب بالإعراض كما سمي الصبي منبوذًا الذي تلقيه أُمه[١]، ولذلك كثر استعماله فيما يُترك ويُهمل، وعن (طرح) الذي تدور دلالته حول الإلقاء الذي يغلب عليه معنى الإبعاد[٢] .

ومن هذه المواضع للفعل (أَلقى) على سبيل المثال لا الحصر:

أَولاً: قوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[٣] .

تمثل هذه الآية الكريمة إحدى الآيات التي تجلت فيها حكمة الاختيار القرآني للفعل (أَلقى)، في موضعين أَحدهما مادي والثاني معنوي، إذ لم يأتِ هذا الاختيار على سبيل الترادف من بقية الأفعال، وإنَّما اقتضته طبيعة الحدث والمقام .

حيث أُزيحت المعاني الست من المعاني السبع التي ذكرها ابن الجوزي[٤]، ولم يبقَ إلَّا موضعًا واحدًا وهو الرمي الذي حدده السياق لكنَّنا لا نسلم لهذا المعنى كليًا كما حددناه في موضوع بحثنا .

المعنى السياقي هنا يتحدث عن أُم موسى _ عليه السلام _، وقد أَوحى الله إليها أَنْ تضع وليدها في التابوت، ثمَّ تلقيه في اليم حفاظًا عليه من بطش فرعون، فالغاية ليست التخلص من الطفل، وإنَّما إنقاذه، فإنَّ الإلقاء هنا لا يفيد معنى العدوان، بل يفيد تنفيذ أَمر إلهي يقود إلى الحفظ والرعاية هربًا من شر فرعون[٥] .

ومن هنا انزاح الفعل من مجرد طرح الشيء إلى معنى التسليم إلى العناية الإلهية، وهي دلالة لا يستفاد مثلها من المعنى المعجمي وحده، وإنَّما يفرضها السياق القرآني بدلالة الآية اللاحقة لها والتي تبيِّن تلك العناية الإلهية بقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[٦] .

(١) ينظر: معجم مقايس اللغة (نبذ): ٥ / ٣٨٠ .
(٢) ينظر: لسان العرب (فصل الطاء): ٢ / ٥٢٨ .
(٣) سورة طه من الآية: ٣٩ .
(٤) نزهة الأَعين النواظر: ١٥٦ - ١٥٧ .
(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥ / ١٩ .
(٦) سورة طه الآية: ٤٠ .

لماذا لم يقل: فارميه في اليم؟ وهذه هي القضية المركزية في البحث .

لو استعمل القرآن (رمى) بدل (أَلقى) لتولد في ذهن السامع معنى القذف نحو هدف معين، وهو معنى يناسب السهام والحجارة ونحوها، ولا ينسجم مع مقام الرحمة والعناية الذي تقتضيه القصة . كما أَنَّ الرمي يشعر غالبًا بالمفارقة السريعة بين الرامي والمرمي، بينما المقام هنا مقام أُم مأمورة بحفظ ولدها، لا بالتخلص منه . لذلك كان (أَلقى) أَنسب؛ لأَنَّه لا يحمل في ذاته إيحاءً بالقسوة، أَو الاستهداف.

ولماذا لم يقل: (فانبذيه)؟ لأَنَّ النبذ يتضمن في أَصل دلالته معنى الطرح المصحوب بالإعراض أَو عدم الاكتراث للشيء المرمي، ولذلك استعمل القرآن هذا الفعل في مواضع الذم، مثل نبذ العهود، أَو نبذ الكتاب وراء الظهور.

ولو قيل هنا: فانبذيه في اليم، لأوهم ذلك أَنَّ الأُم تطرح ولدها معرضةً عنه، وهذا يناقض حقيقة السياق.

تكشف هذه الآية أَنَّ اختيار (أَلقى) لم يكن اختيارًا لفظيًا مجردًا، وإِنَّما كان اختيارًا دلاليًا اقتضته طبيعة المقام؛ لأَنَّ الفعل يؤدي معنى الإِيصال والوضع من غير أَنْ يقترن بدلالة القوة، أَو العدوان، أَو الإعراض، وهي دلالات تحملها أَفعال أُخرى من الحقل نفسه، ك(رمى)، و(قذف)، و(نبذ).

لماذا لم يقل: (فاقذفيه)؟ لأَنَّ العدول عن (قذف) إلى (أَلقى) عدول مقصود؛ لأَنَّ المقصود ليس قوة الحركة، وإِنَّما وصول الطفل إلى الموضع الذي أَراده الله تعالى.

ولأَنَّ القذف في أَصل استعماله يدل على الدفع بشدة وقوة، وهي دلالة تتنافى مع إِرادة الله في حفظ موسى، أَمَّا استعمال هذا الفعل في بداية الآية مع أُم موسى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾[1]، إِنَّما يدل على سرعة استجابة أُم موسى لأَمر الله، فقال اقذفيه لتنفيذ الأَمر على وجه السرعة، يقول الجوهري: (والقِذافُ: سرعة السير. وفرسٌ متقاذِفٌ: سريع العدو) [2]، فناسب الفعل فاقذفي بداية الفكرة قبل التنفيذ، وليس القذف المصاحب للشدة والقسوة، وإِنَّما السرعة في حفظه من بطش فرعون واتباعه، ومما يدل على الحث على الاستجابة هو الإِيحاء الذي أَوحاه الله لأُم موسى الذي جاء في السياق الذي قبل الآية، فقال تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ

(١) سورة طه من الآية: ٣٩ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤ / ١٤١٤ .

مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، فكان الأَمر يناسب سرعة تنفيذ واستجابة سريعة لوحي الله الذي كان عبارة عن إلهام من الله لأُم موسى، أَمَّا حين تنفيذ تلك الفكرة بعد أَنْ رسخت في عقل الأُم، فكان الخطاب بالفعل (أَلقى) الذي هو يحمل معنى إلقاء برفق ولين وعن قرب أَكثر من بقية أَفعال الحقل الدلالي الأُخرى، وفي موضع آخر بيَّن الله سبحانه وتعالى طريقة تنفيذ الأَمر الإلهي فقال: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[2]. النص واضح بأَنَّه وقت تنفيذ الفكرة، وإنَّه آخر المطاف، وآخر لحظات تجمع الأُم بوليدها بدلالة أَمر الله بإرضاع صغيرها الذي هو آخر ما تفعله الأُم عند تركها لابنها في هذا المقام، وكان المقام الرفق واللين حاضرًا مرة أُخرى عند بشارة الوحي بأَنَّ وليدها سيعود إليها بإذن الله ومشيئته فعاد إلى استعمال الفعل (أَلقى) الذي يحمل معاني النقل من مكان إلى آخر برفق أَكثر من بقية أَفعال الحقل الدلالي الأُخرى، وهذا الاختيار للفعل (أَلقى) استُعمِل كذلك مع الفاعل (اليم)، لأَنَّ المطلوب هو نقل سيدنا موسى على وجه الهدوء، وليس المطلوب منه السرعة في تنفيذ الأَمر ليستعمل له الفعل (قذف) ولا شدته، والله أَعلم .

والموضع الآخر في نفس الآية أيضًا وهو في قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[3] .

هنا انتقال الفعل (أَلقى) من المجال الحسي إلى المجال المعنوي في الإلقاء.

المعنى السياقي الذي جاء به ليس المقصود بالمحبة هنا شيئًا ماديًا يُلقى، وإنَّما هو أَثر نفسي أَوجده الله تعالى في قلوب الناس تجاه موسى _ عليه السلام _ فلا يلقاه أَحد إلَّا أَحبه[4].

وسر اختيار الفعل هنا، دون: وجعلت لك محبة، ولا وهبتك محبة، لأَنَّ الفعل(أَلقى) يصور المحبة وكأَنَّها نزلت في القلوب دفعة واحدة بأمر الله تعالى، فيجسد المعنى المعنوي في صورة واضحة .

ولم يستعمل: رميت عليك محبة؛ لأَنَّ الرمي يشعر بالإصابة، وهو معنى لا يلائم اللطف الذي تقتضيه المحبة ولم يستعمل: قذفت عليك محبة؛ لأَنَّ القذف يقترن في الاستعمال العربي

(١) سورة طه، الآية: ٣٨ .
(٢) سورة القصص، الآية: ٧ .
(٣) سورة طه من الآية: ٣٩ .
(٤) زاد المسير في علم التفسير: ٣ / ١٥٨ .

بالشدة والدفع، وهو أبعد ما يكون عن هذا المقام .

أَمَّا (أَلقى)، فلا يحتمل تلك المعاني التي لا يحتاج إليها السياق القرآني، لأَنَّه موضع محبة وود من الله وهبا لسيدنا موسى _ عليه السلام _ .

يتبين من هذه الآية أَنَّ (أَلقى) لا يختص بالأَشياء المادية، بل يتسع للمعاني المعنوية كذلك وفق السياق، وإِنَّ هذا الاتساع ليس خروجًا عن أَصل المعنى، وإِنَّما هو انزياح دلالي حافظ على فكرة الإِيصال في الفعل (أَلقى) .

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1] .

يمثل الإِلقاء هنا شيئًا ماديًا محسوسًا مرة أُخرى، وهو بمعني (الرمي) أَحد المعاني السبع التي ذكرها ابن الجوزي[2]، وهو الموضع الأَول، وتستبعد المعاني الست المتبقية، وذلك من خلال السياق الذي وردت به، لكنَّنا لا نسلم لهذا الرمي بالمعنى الدقيق .

والذي حدد هذا المعنى السياق الذي جاء به هذا الفعل ليصور الإِلقاء المقصود، ولم يكن للتخلص منها، ولا إِصابة أَحد بها، وإِنَّما كان تنفيذ أَمر الله تعالى لإِظهار إِحدى الآيات التي جاء بها سيدنا موسى _ عليه السلام _ ليظهر صدق نبوته لفرعون[3]، ولذلك جاء الفعل مجردًا من كل دلالة توحي بالعدوان أَو العنف .

فقال في الآية نفسها: ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾، فالإِلقاء هنا كان وسيلة لإِظهار قدرة الله تعالى وبيات آية نبيه وليس الغاية بيان كيفية الإِلقاء وقوته وتدفقه فكان الأَنسب بأَنْ يأتي بالفعل الأَخف والمناسب وهو (أَلقى) ليصور المشهد المنتظر .

ومن ثم كان (أَلقى) أَدق في تصوير الفعل؛ لأَنَّه يكتفي بإثبات انتقال العصا من يد موسى إِلى الأَرض، فلم يكن رميًا، ولا قذفًا، ولا طرحًا الذي يتجاوز ويبتعد فيه الرمية عن الرامي، وهناك سياقات أُخرى بينت هذا الموقف القريب لإِلقاء، فقال تعالى في موضع آخر: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[4]، أَي بعد الإِلقاء كان أَخذًا للعصا مرة أُخرى ليتناولها في يده وهذا بيان بأَنَّ الإِلقاء لم يكن بعيدًا، وإِنَّما

(١) سورة الأَعراف، الآية: ١٠٧ . وسورة الشعراء، الآية: ٣٢ .
(٢) نزهة الأَعين النواظر: ١٥٦_ ١٥٧ .
(٣) أَنوار التنزيل وأَسرار التأويل: ٣ / ٢٧ .
(٤) سورة طه، الآية: ١٩ – ٢١ .

هو مجرد إيصال العصا إلى الأَرض لبيان آية من آياته التي جاء بها، ومن ثم سهوله تناولها مرة أُخرى وهو فعل ملائم للمعنى والسياق الذي جاء به دون إرادة معنى الإصابة، أَو العنف، أَو الإهمال، ولذلك جاء في مقام المعجزة، إذ كان التركيز على ما ترتب على الإلقاء، لا على كيفية الإلقاء نفسه .

ومما يلحظ إنَّ القرآن الكريم كلما تحدث عن عصا موسى ـ عليه السلام ـ كان يستعمل الفعل (أَلقى)، ولم ينتقل إلى فعل آخر، مع اختلاف المواقف كما في الآيات السابقة، وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ﴾[1]، دون أَنْ يقول: ارمِ ما في يمينك، لأَنَّ المقصود ليس توجيه العصا إلى السحرة، لأَنَّ المواجهة ليست جسدية بينه وبينهم، وليس الغاية إصابتهم بها، وإنَّما إظهار المعجزة التي تبطل سحرهم، والله أَعلم .

وهذا الثبات في اختيار الفعل في هذا المشهد المتعدد يدل على أَنَّ القرآن راعى الطبيعة الدلالية للعصا بوصفها وسيلة لإظهار القدرة الإلهية، لا أَداةً للإصابة أَو العدوان .

وإذا قورنت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ وقوله: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ في المواضع السابقة ظهر أَنَّ الفعل بقي محافظًا على أَصله الدلالي، وهو الإيصال، بينما اختلف الملقى والغرض من الإلقاء، ففي الأُولى كان الإلقاء سببًا للحفظ، وفي الثانية سببًا للمحبة، وفي هذه الآية سببًا لظهور المعجزة .

وإنَّ الفعل (أَلقى) أَعم أَفعال الإلقاء في القرآن، ولا يدل في ذاته على القوة ولا الإهمال .

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾[2] .

يصور هذا التعبير القرآني لحظة تحول نفسي عميق، انتقل فيها السحرة من الكفر إلى الإيمان، يذكر الزمخشري بأَنَّه اختلف الإلقاء منهم أَول مرة لأَجل الكفر والجحود، وهنا أَلقوا رؤوسهم لأَجل السجود والشكر بعد ساعة[3]، فجاء الفعل ﴿ فَأُلْقِيَ ﴾ ليصور هذا التحول تصويرًا حركيًا، حتى بدا كأَنَّ قوة الحق هي التي دفعتهم إلى السجود، لا مجرد إرادتهم الشخصية .

المعنى السياقي: ليس المقصود الإخبار بأَنَّ السحرة سجدوا فحسب، وإنَّما تصوير سرعة استجابتهم وانقيادهم الكامل بعد أَنْ تبين لهم الحق، ولذلك جاء التعبير بالفعل ﴿ فَأُلْقِيَ ﴾،

(١) سورة طه من الآية: ٦٩ .
(٢) سورة طه الآية: ٧٠ .
(٣) ينظر: الكشاف: ٣ / ٧٥ .

فالإلقاء هنا ليس إلقاء جسم فحسب، بل إلقاء إرادة خضعت للحق .

وسر اختيار الفعل (أَلقى) دون أَنْ يقول: فسجد السحرة، لأَنَّ هذا التعبير لا يؤدي الصورة التي أَرادها القرآن لمجرد السجود فحسب، وإِنَّما جاء الفعل (أَلقى) ليبين أَثر المعجزة وقوتها التي جعلت السجود يقع منهم فورًا، حتى كأَنَّه أُلقي عليهم .

ومن هنا كانت دلالة (أَلقى) أَبلغ من مجرد الإخبار بالسجود.

يكشف هذا الموضع أَنَّ الفعل (أَلقى) قد يستعمل لتصوير الأَثر النفسي تصويرًا حسيًا، وإِنَّ هذا الاستعمال يمثل لونًا من الانزياح الدلالي الذي يجسد المعاني الشعورية في الإِنسان، وقد يكون هذا هو أَحد أَسباب اختيارنا هذا الموضع في الدراسة وانتخابه ضمن مجموعة من الشواهد، والله ولي التوفيق .

رابعًا: قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1] .

ينتقل الفعل (أَلقى) في هذا الموضع إِلى سياق مختلف هذه المرة متعلق بسنن الكون وخلق الأَرض، فيصف فعل الله تعالى في تثبيت الأَرض بالجبال، والقدرة الإِلهية، وهو أَحد المعاني السبعة للفعل (أَلقى) التي ذكرها ابن الجوزي في القرآن الكريم وهو هنا بمعنى الخلق[2].

ذكر الزمخشري أَنَّ (أَلقى) بمعنى (جعل) [3]، وهو معنى قريب من معنى الخلق الذي ذكره ابن الجوزي، والمعنى السياقي في الآية يكشف هذا المعنى الذي ذكره الزمخشري بوضوح، وكذلك وروده في أَكثر من آية بدل من الفعل (أَلقى) كما في قوله تعالى على سبيل التمثيل لا الحصر: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[4] .

لذا كان اختيار هذا الفعل دون بقية أَفعال الحقل الدلالي التي نحن بصددها، لأَنَّها لا تؤدي هذا المعنى، فإِنَّ الإِلقاء هنا لا يدل على حركة عارضة، وإِنَّما على إقرار الشيء في موضعه الذي يحقق الغاية منه، وهي استقرار الأَرض.

(١) سورة النحل، الآية: ١٥، ولها نظائر أُخرى في القرآن الكريم .
(٢) ينظر: نزهة الأَعين النواظر: ١٥٦ .
(٣) ينظر: الكشاف: ٢ / ٥٩٨ .
(٤) سورة الأَنبياء، الآية: ٣١ .

والانزياح الدلالي هنا انتقال الفعل من الإلقاء الذي يدرك بالحس إلى معنى الإرساء والتثبيت، مع احتفاظه بشيء من أَصل الدلالة، وهو إيصال الشيء إلى الموضع المقصود. وهذا من أَوسع مظاهر الانزياح الدلالي في الفعل (أَلقى)، إذ اتسع ليشمل أَفعال الخلق والتكوين في التعبير القرآني. وعدم قدرة أَفعال الحقل الدلالي: (رمى، ونبذ، وطرح، وقذف) أَنْ تعطي هذا المعنى باستعمالها هنا .

المبحث الثاني: الفعل (رمى)

إذا كان الفعل (أَلقى) يمثل الدلالة العامة للإيصال، فإنَّ الفعل (رمى) يضيف إلى هذا الأَصل عنصرًا دلاليًا آخر، يتمثل في توجيه الشيء نحو جهة أَو هدف معين. ومن ثمَّ فإنَّ العلاقة بين الفعلين ليست علاقة ترادف، وإنَّما علاقة اشتراك في أَصل المعنى مع اختلاف الخصيصة الدلالية التي يفرضها السياق.

تدور مادة (رمى) في كتب اللغة حول إلقاء الشيء بقصد إيصاله إلى جهة معينة، يقول الخليل: (والرَّميّة: الصَّيْد الذي تَرميه فتَصْرَعُه ذكَراً كان أَو أُنثى)[1]، ويقول ابن سيدة: (رَمَى الشَّيْءَ رَمْيًا ورَمَى بهِ ورَمَى عن القَوْسِ)[2]، ويغلب في استعمال هذا الفعل معنى القصد والتوجيه، ولذلك استعملت في رمي السهام والحجارة ونحوها[3]، ثم اتسع استعمالها حتى شمل الرمي المعنوي، كالرمي بالباطل أَو بالتهمة، ويذكر ابن الجوزي[4] ثلاثة أَوجه لاستعمال هذا الفعل في القرآن الكريم، وهي: ١_ الإلقاء والنبذ . ٢ _ الإصابة . ٣_القذف بالزنا .

ويتضح من هذا أَنَّ (رمى) أَخص من (أَلقى)؛ لأَنَّ كل رمي هو إلقاء، وليس كل إلقاء رميًا.

وفي السياق القرآني جاء الفعل (رمى) في القرآن الكريم في مواضع متعددة، وتنوعت دلالاته بين الرمي الحقيقي والرمي المجازي، إلَّا أَنَّ الاستقراء يدل على أَنَّ جميع هذه المواضع تشترك في وجود جهة مقصودة يتوجه إليها الفعل، وهي الخصيصة التي تميز (رمى) من (أَلقى)، ومن هذه المواضع التي سنسلط عليها القول على سبيل التمثيل لا الحصر هي:

(١) العين: ٨ / ٢٩٣ .
(٢) المحكم والمحيط الأَعظم: ١٠ / ٣١١ .
(٣) ينظر: لسان العرب: ١٤ / ٣٣٥ .
(٤) ينظر: نزهة الأَعين النواظر: ٣١٦ .

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1] .

تُعد هذه الآية من أَبرز مواضع الفعل (رمى) في القرآن الكريم؛ لأَنَّها جمعت بين إثبات الفعل ونفيه في سياق واحد .

المعنى السياقي: نزلت الآية في غزوة بدر، حين أَخذ النبيr قبضة من التراب فرمى بها المشركين، فأَصابهم أَثرها بإذن الله، أَو حين طعن الرسول r أُبي بن خلف كبير المنافين بحربته يوم (أُحد) [2] ففي الموقفين الوضع يحتاج دقة إصابة مباشرة يحققها الفعل (رمى) فنفى القرآن الرمي عن النبيr من جهة الأَثر الذي يصيب الكفار، وأَثبته له من جهة مباشرة الفعل، ثمَّ أَسند حقيقة الإيصال والتأثير إلى الله تعالى .

وعليه، فليس النفي نفيًا للفعل، وإنَّما نفي إحداث النتيجة التي أَصابت الأَعداء .

وحدد ابن الجوزي[3]هذا المعنى في الآية الكريمة بأَنَّه أَحد المعاني الثلاثة، وهو بمعنى (الإصابة) وهذا هو الأَصل العام في الفعل (رمى) .

ولعل سر اختيار (رمى)، لأَنَّ المقام يقتضي توجيه شيء إلى جهة محددة بقصد التأثير فيها، وهو دلالة الفعل الرئيسة، ولو استعمل (أَلقى) لما أَفاد هذا القصد؛ إذ إنَّ الإلقاء يدل على مجرد الإيصال، أَمَّا الرمي فيضيف معنى التوجيه نحو هدف معين .

ومن هنا يظهر أَنَّ اختيار (رمى) أَدق من غيره؛ لأَنَّ السياق قائم على مواجهة بين المؤمنين والمشركين، فاقتضت فعلًا يدل على قصد الإصابة في القتال الذي يجب فيه على المقاتل أَنْ يحرص أَشد الحرص على التركيز والإصابة المباشرة للعدو، فيكون توجيه الفعل نحو الهدف عنصرًا أَساسيًا في المعنى المناسب لهذا السياق .

إذا كان الفعل (أَلقى) يركز على انتقال الشيء، فإنَّ (رمى) يركز على اتجاه انتقاله نحو غاية مقصودة كما أَسلفنا، إذن (رمى) أَشد من (أَلقى)، لأَنَّ معيار القصد والاتجاه أَثخن على الأَعداء من الإلقاء غير الموجه وإنْ كان قويًا لربما لا يصيبهم هذا الإلقاء، فالدقة هي المعيار الحاسم في

(١) سورة الأَنفال من الآية: ١٧ .

(٢) يذكر أَغلب المفسرين في تفسيرها أَنَّها رمي بالحصى في وجوه المشركين ببدر، لكنَّ النيسابوري ذكر وجهًا قبل أَن يذكر هذا الوجه، وهو نزول الآية حين طعن الرسول rأُبي بن خلف يوم (أُحد) رأس المنافقين .
ينظر: جامع البيان: ١٣ / ٤٤٢، وأَسباب النزول: ٢٣٦ _ ٢٣٧، وزاد المسير: ٢ / ١٩٥ .

(٣) ينظر: نزهة الأَعين النواظر: ٣١٦ .

المواجهة، فكان هو الفعل الأنسب بين أفعال الحقل الدلالي والله أعلم .

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾[1]

المعنى السياقي: جاء الفعل في سياق بيان عقوبة أصحاب الفيل الذين قدموا لمكة المكرمة، لأجل تحطيمها، إذ أرسل الله تعالى عليهم طيرًا جماعات، ترمي عليهم حجارة من سجيل[2]، فكان الرمي وسيلة لتنفيذ العقوبة الإلهية، والسياق يصور إصابة الحجارة لهم إصابة مباشرة، لا مجرد إلقائها في محيطهم، مما يبرز دقة اختيار الفعل، كما في الموضع السابق. يقول الزمخشري عن تلك الإصابة المركزة: (فكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه)[3].

والمعنى الذي حدده ابن الجوزي في هذا الموضع من الآية الكريمة والآية اللاحقة في هذا البحث، بأنَّها ضمن المعنى الثاني من المعاني الثلاثة التي حددها وهو معنى (الإلقاء والنبذ)[4] دون تفريق بين استعمال هذه الأفعال في المعنى الدقيق، والنظر إلى دقائق الفروق بينها .

والذي أراه هنا أنَّ هذا الاختيار للفعل (رمى) هو ليس بمعنى الإلقاء الدقيق، ولو جعله بمعنى الإصابة كما في الموضع السابق كان أفضل، لأنَّ الإصابة تكون موجهة كما يكون الرمي موجهًا كذلك، ولعل سر اختيار ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ ولم يقل: تلقي عليهم حجارة، أو تقذفهم بحجارة؛ لأنَّ الإلقاء قد يدل على مجرد الإيصال غير المركز نحو غاية معينة، أمَّا الرمي، فكان هو المطلوب لإصابة الهدف .

أمَّا القذف، فيبرز قوة الدفع عند الإلقاء، وهو ما لا يحتاج إليه في هذا الموطن، لأنَّ الحجر سيقط من ارتفاع شاهق بمجرد أنْ يفلت من مناقير أو مخالب تلك الطيور، وهذا السقوط هو كفيل بنزوله نزولًا شديدًا يصيب من وقع عليه بأشد أنواع الإيذاء، والقذف يحتاج إلى قوة دفع عند الفعل، أمَّا في هذا المشهد، فبمجرد نزول الحجر سيسقط دون عناء في قذفها، وكان الرمي هنا يجمع بين قوة الفعل وقصد الإصابة، وهو الأنسب لتصوير الحجارة، وهي تصيب أصحاب الفيل إصابة متتابعة محكمة، وكذلك أنسب مع بقية أفعال الحقل الدلالي، والتي هي: (نبذ) و

(١) سورة الفيل، الآية: ٣ ـ ٤ .
(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٤ / ٦٠٥ ـ ٦٠٦، والكشاف: ٤ / ٧٩٧.
(٣) الكشاف: ٤ / ٧٩٧ .
(٤) ينظر: نزهة الأعين النواظر: ٣١٦ .

(طرح)، فهي بعيدة أَشد البعد عن إيصال المعنى المطلوب

فالفعل احتفظ بأَصله الدلالي في معنى التوجيه والإصابة، إِلَّا أَنَّ السياق نقله من الرمي المألوف الذي يصدر عن الإنسان إلى رمي يجري بأمر الله تعالى باستعمال الطير، فأَصبح الرمي أَداة من أَدوات القدرة الإلهية في إنزال العقاب، وهو انتقال يوسع الدلالة دون أَنْ يخرجها عن أَصلها .

ثالثًا: الرمي في الاستعمال المجازي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ (١) .

لم يقتصر استعمال (رمى) في القرآن الكريم على الرمي الحسي، بل تجاوزه إلى الرمي المعنوي، كما في رمي الأَبرياء بالتهم، ورمي المحصنات بالإفك، حيث ورد في أَكثر من موضع في القرآن الكريم بهذا المعنى(٢)، إذ انتقل الفعل من إلقاء الأَجسام إلى إلقاء الأَقوال والاتهامات، وهو أَحد معان الرمي التي ذكرها ابن الجوزي في القرآن الكريم، وهو معنى القذف بالزنا(٣)، ومما يلحظ في الاستعمال القرآني بأَنَّه لم يأتِ بهذه المفردة وهي (القذف) التي تعني اتهام الآخرين بالزنا والعياذ بالله، كما هو الحال في الحديث النبوي إذ يعد اصطلاحا لهذا الفعل باسم (باب القذف) (٤)، ولا أُريد أن أَخوض أَكثر في هذا الجانب كي لا يخرج البحث من نطاقه المحدد .

والذي حدد هذه الدلالة للفعل هو سياق الآية الكريمة لمجيء الكثير من السياقات في الآية الكريمة التي تحدد هذه الدلالة، فجاءت لفظة المحصنات(٥)، وهنَّ من توجه عليهنَّ الرمي أَولا، وثانيًا مطالبة الشرع بأَربعة شهود، ولا شك إنَّ من يتهم أَحدًا بهذا الفعل الشنيع هو من يطلب منه هذا التفصيل من الشهود(٦)، وثالثًا الجلد ثمانون جلدة، وهذه هي عقوبة من يتهم الآخرين في أَعراضهم(٧)، ورابعًا عدم قبول الشهادة لمن اقترف هذا الفعل الشنيع، فكل هذه

(١) سورة النور، الآية: ٤ .
(٢) سورة النور الآية: ٤، وكذلك آية: ٦، والآية: ٢٣ .
(٣) ينظر: نزهة الأَعين النواظر: ٣١٦ .
(٤) ينظر: سنن ابن ماجه: ٢ / ٨٥٧، السنن الصغير للبيهقي: ٣ / ٣٠٤ .
(٥) المراد بالمحصنات هنا العفيفات الحرائر البالغات العاقلات المسلمات. تفسير المراغي: ١٨ / ٧١ .
(٦) ينظر: الإقناع لابن المنذر: ١ / ٣٤٤ .
(٧) تختلف عقوبة القذف باختلاف القاذف، واختلاف المقذوف.

الدلالات والسياقات التي جاءت مع الفعل ﴿ يَرْمُونَ ﴾ قد حدد دلالاته التي جاء بها الفعل في هذا الموضع، ويكشف هذا الاستعمال عن بقاء الأَصل الدلالي للفعل؛ لأَنَّ الذي يتهم شخصًا ليصيب عفته، فهو قاصد له بالإصابة والأَذى المعنوي مباشرة كما يوجه السهم نحو الرمية، فظل عنصر القصد والاتجاه حاضرًا، وإن تغير نوع المُلقى من شيء مادي إلى معنى مجرد، لأَنَّ الشخص المسيء لمجتمعه عندما يوجه هذا الاتهام فهو لا يوجهه لعامة الناس، بل يقصد شخصًا بعينه كي يصيب سمعته وينال منه، فهو يوجه سهام الاتهام لمن يخاصمه أَو يعاديه، لذلك كان اختيار الفعل (رمى) هو الأَنسب في هذا المقام .

ومن ثم فإنَّ الانزياح الدلالي في (رمى) لم يلغِ معناه الأَصلي، وإنَّما وسَّع مجاله الدلالي ليشمل الأَذى المعنوي كما شمل الأَذى الحسي .

كما أَنَّ استعمال (أَلقى) لا يؤدي هذا المعنى مجردًا؛ لأَنَّه لا يتضمن قصد إصابة المرمي به بما يضره في سمعته وعفته، دون تركيب معين معه إلاَّ إذا ركبته مع عبارات أُخرى كأَنْ تقول: أَلقى عليه التهم في عفته، أَو شرفه، أَو نال من سمعته، وهكذا لو كان فعلاً آخر .

المبحث الثالث: الفعل (قذف)

إذا كان الفعل (أَلقى) يدل على الإيصال المجرد، و (رمى) يدل على الإيصال المقصود نحو هدف ووجهة معينة، فإنَّ الاستقراء الأَولي لمواضع (قذف) يشير إلى أَنَّه يختص بالسياقات التي يبرز فيها معنى الدفع بقوة، سواء أَكان ذلك في الأُمور الحسية، أَم في بعض الاستعمالات المجازية .

استعمل العرب مادة (قذف) في قذف الحجارة ونحوها، لذلك يذكر الخليل القذف الرمي بالكلام والسهام والحصى[1]، ويدور معنى هذه المادة في اللغة حول الرمي بقوة، من بعيد، يقول ابن منظور: (والقَذْفُ: الرَّمْيُ بقُوَّة ... وَمَنْزِلٌ قَذَفٌ وقَذِيفٌ أَي بَعِيدٌ ... والقَذَّاف:

والقاذف قسمان:
الأَول: إذا كان القاذف حراً أَو عبداً، والمقذوف محصناً، فحده ثمانون جلدة.
الثاني: إذا قذف غير محصن فلا حد عليه، لكنه يعزر بما يردعه.
مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة: ٩٦٩ .
(١) ينظر: العين (باب القاف والذال والفاء): ٥ / ١٣٥ .

المَنْجَنِيقُ) [١]، ويحتمل الفعل في دلالته السرعة أَيضاً كما ذكره الجوهري: (والقِذافُ: سرعة السير. وفرسٌ متقاذِفٌ: سريع العدو) [٢]، فهذا التوسع الدلالي جعله يشمل الإلقاء المعنوي والمادي ويقترن بالقوة، أَو سرعة تنفيذ، وآلة الرمي العنيف ومن المواضع التي جاءت في القرآن الكريم والتي سنقف عند بعض منها هي:

أَولاً: قوله تعالى: ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾[٣].

يؤكد المفسرون على الدلالة الأَصلية لهذا الفعل في الآية، لأَنَّها جاءت في سياق حماية السماء من الشياطين الذين يسترقون السمع، فيُقذَفون بالشهب لتطرهم وتصيبهم، فالطبري يفسر قوله تعالى: ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ بأَنَّهم يُرمَون من كل جانب من جوانب السماء[٤]، وهذا ما يدل على تعدد الجهات التي يأَتي منها القذف.

ويؤكد البغوي المعنى نفسه، فيجعل ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ بمعنى يُرمَون، ويبين أَنَّ ذلك يكون من آفاق السماء بالشهب[٥].

ومن هنا تتجلى خصوصية الدلالة السياقية للفعل؛ (قذف) إذ لم يفقد معناه الأَصلي الذي هو الرمي، لكنَّه الرمي بقوة وكذلك البعد، فلم يقف الفعل (قذف) على دلالة عامة، بل على دلالة خاصة جاء بها في موضع القوة وشمول جميع الجهات، لتحقيق غاية الطرد والإبعاد بهذه المقذوفات نحو من توجه إليه، ويؤكد ذلك اقتران الفعل بقوله تعالى: ﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ﴾ إذ يفسر الطبري الدحر: بأَنَّه الدفع والإبعاد، أَو الطرد[٦].

ويظهر كذلك أَثر قوله تعالى: ﴿ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ لتكتمل صورة القذف؛ فالقذف لا يأتي من جهة محددة، وإِنَّما يرتبط بتعدد الجهات التي يحاول الشيطان النفاذ منها، ولذلك جاء التعبير بما يفيد مواجهة تشمل الإبعاد من كل الجوانب، فاجتماع دلالة ﴿ دُحُورًا ﴾ ودلالة ﴿ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾ لتحقق الدلالة المرجوة التي يأتي معها الفعل (قذف) وهو الرمي بقوة، والبعد.

(١) لسان العرب (فصل القاف): ٩ / ٢٧٧ .
(٢) الصحاح: ٤ / ١٤١٤ .
(٣) سورة الصافات، الآية: ٨ .
(٤) ينظر: جامع البيان: ٢١ / ١٧ .
(٥) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٤ / ٢٧ .
(٦) ينظر: جامع البيان: ٢١ / ١٧ .

وهذا النوع من الانزياح يمكن وصفه بأَنَّه انزياح سياقي توسّعي؛ لأَنَّ السياق لم يلغِ الدلالة الأَصلية للفعل، بل أَضاف إليه سمات دلالية أُخرى اتحدت مع دلالة الفعل، فصار الفعل (قذف) يفضي إلى نتيجة يُدحَر من يُقذَف به ومن كل الجهات، فقوة دلالته حددت اختياره في هذا الموضع، والله أَعلم .

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

يمثل هذا الموضع صورة الاستعمال المجازي للفعل (قذف)، إذ انتقل من دلالته الأَصلية، وهي رمي الأَجسام المحسوسة بقوة وسرعة، إلى التعبير عن معنى مجرد هو مواجهة الحق للباطل، وهو معنى مجازي، وإنَّ هذا الانتقال المجازي، لم يلقِ الدلالة الأَصلية، بل دعَّمها لتتنوع الدلالة لهذا الفعل من خلال هذا الاستعمال .

قد أَقام السياق مقابلةً بين الحق والباطل، فالفعل ﴿ نَقْذِفُ ﴾ لا يدل على مجرد انتقال الحق إلى الباطل فحسب، فكان أَبلغ من القول نلقي أَو نوصل؛ لأَنَّ الإلقاء قد يتحقق من غير قوة أَو تأثير، أَمَّا القذف، فيستلزم اندفاعًا شديدًا يترك أَثرًا بالغًا في المقذوف عليه، يقول الزمخشري في هذا الموضع: (واستعار لذلك القذف والدمغ، تصويرًا لإبطاله وإهداره ومحقه فجعله كأَنَّه جرم صلب كالصخرة مثلا، قُذِف به على جرم رخو أجوف فدمغه)[2]، فجاءت لفظة ﴿ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ لتعطي تصورًا أَكثر لهذه المواجهة، فكان الدمغ نتيجة حتمية للقذف. والدمغ في أَصل اللغة هو إصابة الدماغ أَو الرأس إصابةً تفضي إلى الهلاك[3]، وهذا الترتيب بين القذف والدمغ يرسم تدرجًا دلاليًا دقيقًا؛ فالقذف يمثل قوة الانطلاق والهجوم، والدمغ يمثل نهاية الصراع بالحسم والاستئصال، ثم تأتي خاتمة المشهد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ لتصور النتيجة النهائية، وهي زوال الباطل واضمحلاله بعد أَنْ كان قائمًا. وبهذا تتكون حركة دلالية متصاعدة تبدأ بالفعل، ثم الأَثر، ثم النتيجة .

ومن ثمَّ فإنَّ السياق لم يستعمل الفعل (قذف) لمجرد معنى الإلقاء، وإنَّما استدعاه بما يحمله من رصيد دلالي كامل؛ فاحتفظ الفعل بسماته الأَصلية من القوة والسرعة والإصابة، ويدل ذلك

(١) سورة الأَنبياء، الآية: ١٨ .
(٢) الكشاف: ٣ / ١٠٧ .
(٣) ينظر: لسان العرب: ٨ / ٤٢٤ .

على أَنَّ الدلالة المعجمية للفعل لم تضعف في الاستعمال المجازي، بل ازدادت عمقًا واتساعًا، وهو ما ينسجم مع مقصد الآية .

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] .

وفي سياق آخر قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ ﴾[2] .

نحن هنا أَمام طائفة من الأَفعال (قذف، وأَلقى، ونبذ) والمعنى السياقي الذي جاءت به يرتبط بسياق واحد هو قصة صناعة العجل، غير أَنَّ كل آية تعرض جانبًا مختلفًا من الحدث؛ ففي الآية الأُولى أَخبر عن بني إسرائيل أَنَّهم قذفوا ما كان معهم من الحلي، وكأَنَّهم يتخلصون من أَوزار أَثقلتهم وعلى وجه السرعة، وهو أَحد معاني الفعل قذف الخاصة كما أَسلفنا، وذلك لأَنَّهم تعجلوا عندما أَبطأ سيدنا موسى بالعودة إِليهم، وما كان يحوك في صدورهم من رؤيتهم من يقدم على هذه العبادة حين مسيرتهم وعبورهم البحر عندما قالوا: ﴿ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾[3]، فكان أَمرهم يدور على السرعة في تنفيذ أَمرٍ ما زُيِّن في نفوسهم بأَنَّهم يريدون العبادة والتخلص من الآثام، وزين الشيطان في قلوبهم عبادة العجل فكان شغفًا منهم بإِحداث هذا الأَمر وصور القرآن الكريم هذا الجانب في موضع آخر فقال تعالى: ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ ﴾[4] فكانوا على استعداد تام لتنفيذ ما سيؤمرون به، لذلك خاطبهم السامري كما يذكر مقاتل بن سليمان بقوله: (يا أَهل مصر إِنَّ موسى لا يأتيكم فانظروا هذا الوزر وهو الرجس الذي على نسائكم وأَولادكم من حلي آل فرعون الذي أَخذتموه منهم غصبًا فتطهروا منه واقذفوه في النار)[5]، فكان الاختيار الأَنسب للفعل (قذف) هنا من غيره من أَفعال الحقل الدلالي، لأَنَّ الفعل (ألقى) سيكون مناسبًا لما سيحدثه السامري الذي جاء في الآية نفسها حين قال: ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾، فجاء الفعل (أَلقى) لبيان مباشرة السامري للفعل

(١) سورة طه، الآية: ٧٨ .
(٢) سورة طه، الآية: ٩٥، ٩٦ .
(٣) سورة الأَعراف من الآية: ١٣٨ .
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٩٣ .
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٣٧ _ ٣٨ .

الذي كان جزءًا من تدبيره لصناعة العجل، دون أَنْ يكون المقصود تصوير هيئة الإلقاء أَو قوته، وإنَّما إبراز قيامه بالفعل الذي ترتب عليه ظهور العجل ووقوع الفتنة .

أَمَّا اختيار الفعل (نبذ)، فكان لفعل السامري مرة أُخرى في موقف يختلف قليلاً عمَّا قبله، فذكر فيه تفصيل لم يذكر في الموضع الأَول، فقال: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾، فعدل التعبير من (أَلقى) إلى (نبذ)؛ لأَنَّ المقام لم يعد بصدد بيان أَصل مباشرته للفعل، وإنَّما بصدد بيان كيفية تصرفه بالقبضة التي أَخذها من أَثر الرسول فكان يروي ما فعله فجاء بالفعل (نبذ) لما يتضمنه من معنى طرح الشيء ومفارقته لصاحبه، أَو قد يكون اختيار الفعل قادمًا من اقترابه من أَصله اللغوي الذي يعبر عن الشيء اليسير، كما أَسلفنا ليدل على قبضته اليسرة من الأَثر الذي التقطه، وليس معنى الابعاد غير المرغوب، وهو معنى أَدق في تصوير انتقال تلك القبضة من يد السامري إلى موضع الفتنة التي أَحدثها.

ومن ثمَّ فإنَّ اختلاف الفعلين مع اتحاد الفاعل ليس من باب الترادف، بل هو من دقائق الاختيار القرآني؛ إذ لم يراعِ السياق شخصية الفاعل، وإنَّما راعى طبيعة الحدث في كل موضع. فاختير (أَلقى) عندما كان المقصود بيان مباشرة السامري للفعل في سياق صناعة العجل، واختير (نبذ) عندما انتقل السياق إلى وصف تصرفه بالقبضة نفسها، وما تضمنته من معنى المفارقة والطرح .

وبعد استقراء مواضع (قذف) في القرآن الكريم جميعها، وما ذكرناه هنا إنَّما هو نخبة من شواهد هذا الفعل وليس كل مواضعه، لكن يلحظ في الاستعمال القرآني أَنَّه لم يستعمل هذا الفعل بمعنى الاتهام وإصابة سمعة الآخرين بالفحشاء، كما أَسلفنا في الفعل (رمى) الذي استعمل بهذا المعنى، مع أَنَّ الفعل (قذف) قد استعمل في السنة النبوية والأَحاديث الشريفة بكثرة في هذا الجانب، بل هناك أَبواب فقهية سميت بهذا الاسم نحو: (باب حد القذف) [1] لما يشير لهذا المعنى في استعمال هذا الفعل الذي لم يستعمله السياق القرآني .

(١) ينظر: سنن ابن ماجه: ٢ / ٨٥٧، السنن الصغير للبيهقي: ٣ / ٣٠٤ .

المبحث الرابع: الفعل (نبذ)

يدل الفعل (نبذ) في أَصل استعماله على طرح الشيء مع الإعراض عنه، أَو تركه بعد عدم الرغبة فيه، ولذلك يختلف عن بقية أَفعال الإلقاء؛ لأَنَّ دلالته لا تقف عند مجرد الطرح، بل تضيف إليه معنى الترك والإهمال، والاستهانة به والاستغناء عنه(١) .

المعنى المعجمي: تدور مادة (نبذ) حول الطرح والإلقاء مع المفارقة، يقول الخليل: (النَّبْذُ: طّرْحُكَ الشيء من يدكَ أمامَك أَو خلفك ... والمنبُوذُ: وَلَد الزنى المطروح) (٢)، ويضيف ابن دريد ويقول (وَفِي رَأسه نبذ من الشيب أَي شَيْء يسير) (٣) والشيء اليسير أَحد معاني هذا الفعل، ويقول الزبيدي: (أَصْلُ النَّبْذِ طَرْحُ مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ) (٤)، ولذلك يقال: نبذ الشيء إذا طرحه وتركه، ومن هنا جاءت دلالته الخاصة في الاستعمال القرآني، ومن هذه المواضع التي جاءت في القرآن الكريم منها:

أَولاً: قوله تعالى: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(٥) .

والمعنى السياقي الذي جاء به حول ترك أَحكام التعاليم الدينية، فلا يراد بالنبذ هنا إلقاء الكتاب إلقاءً حسيًا، وإنَّما ترك العمل به والإعراض عن أَحكامه(٦). يقول الزمخشري في هذا الموضع: (والنبذ وراء الظهر مَثَلٌ في الطرح وترك الاعتداد، ونقيضه جعله نصب عينيه)(٧)، فجاء التعبير بصورة حسية تجسد هذا الإعراض، حتى كأَنَّهم طرحوا الكتاب خلف ظهورهم .

وسر اختيار (نبذ) ولم يستعمل القرآن (أَلقى)؛ لأَنَّ المقصود ليس مجرد الطرح، بل الطرح المصحوب بالاستخفاف والإعراض .

كما لم يستعمل (رمى)؛ لأَنَّ الرمي يركز على توجيه الشيء نحو هدف معين كما أَسلفا في أكثر من موضع، وليس هذا مراد الآية .

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية: ٢٩٧ .
(٢) العين (باب الذال والنون والباء): ٨ / ١٩١
(٣) جمهرة اللغة (ب ذ ن): ١ / ٣٠٦ .
(٤) تاج العروس (نبذ): ٩ / ٤٨٠ .
(٥) سورة آل عمران من الآية: ١٨٧، ولها نظائر أُخرى .
(٦) ينظر: معالم التنزيل: ١ / ٥٥٢ .
(٧) الكشاف: ١ / ٤٥٠ .

ومن ثُمَّ كان (نبذ) أَبلغ في تصوير موقفهم من كتاب الله . ويدل هذا الموضع على أَنَّ (نبذ) يختص بالسياقات التي يكون فيها الإلقاء مقترنًا بالترك والإعراض، وهي خصيصة دلالية انفرد بها عن بقية أَفعال هذا الحقل .

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

والمعنى السياقي الذي جاء بالفعل (نبذ) عقوبة لفرعون وجنده بعد استكبارهم فأَغرقهم في البحر الذي كان يسمى قديما كما يذكره الطبري ب (إساف)[2]، ولذلك حمل الفعل معنى الطرح الذي يصاحبه الاحتقار وعدم الاكتراث بمصيرهم .

ولعل السر في اختيار (نبذ) دون غيره من أَفعال الحقل الدلالي إذ لو استعمل (أَلقى) لاقتصر المعنى على حصول الإلقاء وتحول الشيء من مكان لمكان آخر، وعن الفعل(رمى) الذي يفيد الإصابة نحو الهدف، وعن قذف الذي يقترب من معنى (رمى) وهذه الاختيارات لا تعطي معنى الإلقاء باحتقار، كما يصورها الفعل (نبذ) الذي أَضاف معنى الإبعاد والإهانة، وهو الأَنسب بسياق العقوبة الإلهية وهلاك طاغية من طواغيت التأريخ .

ويكشف هذا الموضع أَنَّ (نبذ) قد يستعمل في مقام الجزاء، إذا أُريد تصوير المُلقَى في صورة عدم استحقاقه البقاء أَو الكرامة، فكان الأَنسب من بين جميع الأَفعال التي تشترك في دلالات عامة وهي: (أَلقى، وقذف، ورمى، وطرح) .

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ ﴾[3] .

يستعمل القرآن الكريم الفعل (نبذ) في هذا الموضع استعمالًا يتلاءم مع مشهد الوعيد والتهديد، إذ جاء بصيغة المبني للمجهول المؤكدة باللام ونون التوكيد الثقيلة، بما يبرز حتمية وقوع الفعل وقسوته.

والمعنى السياقي الذي جاء به الفعل في سياق الوعيد لمن جمع المال وعدده، ولم ينفق في سبيل الله[4]، فكان المراد طرحه في نار جهنم طرحًا مهينًا، لا مجرد إدخاله فيها. ولذلك ارتبط

(١) سورة القصص، الآية: ٤٠، ولها نظائر أُخرى .
(٢) ينظر: جامع البيان: ١٩ / ٥٨٢ .
(٣) سورة الهُمَزة، الآية: ٤ .
(٤) ينظر: جامع البيان: ٢٤ / ٥٩٨ .

النبذ هنا بمعنى الإهانة والإذلال، فضلًا عن الإلقاء.

وسر اختيار ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ ﴾ ولم يقل القرآن: ليلقينَّ في الحطمة، أَو ليُطرحنَّ في الحطمة؛ لأَنَّ الإلقاء قد يدل على مجرد الإيصال، والطرح يفيد الإبعاد، أَمَّا النبذ فيوحي بأَنَّ المنبوذ صار حقيرًا لا كرامة له، فيُلقَى كما يُلقَى الشيء المستغنى عنه. وهذا المعنى يتناسب مع حال المتكبر الذي كان يتعاظم بماله، فإذا به يعامل يوم القيامة معاملة الشيء المهمل المحتقر.

والانزياح الدلالي هنا هو انتقال الفعل من معنى الطرح الحسي للأَشياء إلى تصوير الإهانة المعنوية، والعقوبة الأَخروية، ويدل هذا الموضع على أَنَّ (نبذ) ينماز عن بقية أَفعال الإلقاء باقترانه غالبًا بمعاني الاحتقار والإهانة لمن يقع عليه هذا الفعل، ولذلك كان اختياره في هذا السياق أَدق من غيره من أَفعال الحقل الدلالي، إذ جمع بين معنى الإلقاء ومعنى الإذلال، وهو ما ينسجم مع طبيعة الوعيد في السورة .

رابعًا: قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ ﴾[1]

المعنى السياقي: ليس المراد إلقاء شيء مادي، وإنَّما إعلان إنهاء العهد ورده إلى أَصحابه إذا ظهرت ملامح انتهاء العهد، ليكون الطرفان على علم بانتهاء الميثاق، فلا يقع الغدر[2].

وهذا المعنى نفسه قد ذكره أَصحاب المعاجم في كتبهم، لأَنَّهم أَوردوا هذه الآية في سياق حديثهم عن نبذ العهد وإنهاء الميثاق[3] .

وسر اختيار ﴿فَٱنۢبِذۡ ﴾ ولم يقل: فاقطع عهدهم، أَو اتركهم؛ لأَنَّ النبذ يصور طرح العهد وإعادته إليهم بصورة علنية، وهو أَبلغ في الدلالة على إنهاء الالتزام السابق مع مراعاة العدل والوضوح، ولذلك قيد بقوله: ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أَي ليكون الجميع على بينة من انتهاء رالعهد .

والانزياح الدلالي هنا انتقال الفعل من معنى إلقاء الأَجسام إلى معنى إبطال الالتزام السياسي والعسكري، فأَصبح النبذ تعبيرًا عن إنهاء العلاقة التعاقدية، وهو انزياح دلالي واسع فرضه السياق .

(١) سورة الأَنفال، الآية: ٥٨ .

(٢) ينظر: جامع البيان: ١٤ / ٢٥ .

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (باب الذال والنون): ١٤ / ٣١٧، ولسان العرب (فصل النون): ٣ / ٥١٢، وتاج العروس (نبذ): ٩ / ٤٨٢ .

ويمثل هذا الموضع أَرقى صور الانزياح الدلالي للفعل (نبذ)؛ إذ انتقل من المجال الحسي إلى المجال القانوني والسياسي، فغدا دالًا على إعلان إنهاء العهد بصورة عادلة وصريحة، وهو معنى لا يؤديه أَفعال الحقل الدلالي: أَلقى، وطرح، وقذف، ورمى .

المبحث الخامس: الفعل (طرح)

إذا كان الفعل (أَلقى) يدل على أَصل الإيصال، و(رمى) يدل على الإيصال المقصود نحو هدف معين، و(قذف) على الإلقاء المصحوب بالقوة، و(نبذ) على الطرح المصحوب بالإعراض، فإنَّ الفعل (طرح) يختص في الاستعمال القرآني بإفادة الإلقاء الذي يترتب عليه وضع الشيء، أَو إسقاطه، أَو إبعاده عن موضعه، من غير أَنْ يستلزم في ذاته معنى الإهانة، أَو شدة الدفع، ولذلك كان له مجال دلالي خاص يميزه من سائر أَفعال هذا الحقل .

المعنى المعجمي: تدور مادة (طرح) في كتب اللغة حول الإلقاء والإسقاط والوضع، ويقال: طرح الشيء إذا أَلقاه من يده، أَو أَزاله عن موضعه، وقد يستعمل فيما يلقى على الأَرض، أَو يبعد عن مكانه، يقول الخليل: (طَرَحْتُ الشَّيْءَ فأَنا أَطْرَحُه طَرْحاً، والطِّرْح: الشَّيْءُ المطروحُ لا حاجة لأَحَدٍ فيه. والطَّروح: البعيد نحو البَلْدة وما أشبهها) [1]، ويقول ابن دريد: (طرحت الشَّيء أَطرحه طرحًا من الْيَد وَغَيرهَا) [2]، وعلى ما ذكره الخليل، فإنَّ معنى الفعل (طرح) لما لا حاجة فيه قد يقترب من دلالة الفعل (نبذ) كما ذكره الزبيدي لهذا الفعل، وهذا ما وضحناه سابقاً بأَنَّ أَصحاب المعاجم لم ينظروا إلى تلك الفروق الدقيقة بين الأَفعال، وهذا الفرق إنَّما يحدده السياق في الكلام وهو صلب موضوع دراستنا .

ومما يلفت النظر بأَنَّ هذا الفعل لم يرد في القرآن الكريم إلاَّ في موضع واحد وهو الآتي:

قوله تعالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾[3] .

هذا هو الموضع الوحيد لمادة (طرح) في القرآن الكريم؛ إذ جاء في سياق تشاور إخوة يوسف

(١) العين: (باب الطاء والحاء والراء): ٣ / ١٦٩ .
(٢) جمهرة اللغة: (ط ر ح): ١ / ٥١٧ .
(٣) سورة يوسف، الآية: ٩ .

عليه السلام للتخلص منه .

والمعنى السياقي: لم يكن المقصود مجرد إلقاء يوسف، وإنَّما إبعاده عن أَبيه وإلقاؤه في مكان بعيد تنقطع به الصلة بينه وبين أُسرته، ولذلك جاء الفعل ﴿ ٱطۡرَحُوهُ ﴾ ليدل على الإبعاد المكاني المصحوب بتركه لمصيره(١) .

وسر اختيار (طرح)، ولم يقل: أَلقوه أَرضاً، إذ لا بد أَنْ يقول معاها: أَلقوه أَرضًا بعيدة، كي يصل إلى دلالة الإبعاد، أَمَّا في قوله: ﴿ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا ﴾ يفهم من دلالة الفعل العامة أَنَّ الأَرض لا بد أَنْ تكون بعيدة، لأَنَّ (ألقى) يقتصر على معنى الإيصال، أَمَّا (طرح) فيوحي بإسقاطه في مكان يترك فيه بعد الإبعاد وهذا ما ذكره أَهل التفسير فالكل متفق على معنى اطرحوه أَي أَلقوه في أَرض بعيدة(٢) .

ولم يقل: (انبذوه)، لأَنَّ النبذ يشعر بالإهانة والإعراض عن المُلقَى نفسه، بينما كان قصدهم الأَول إبعاده عن أَبيهم، لا مجرد إظهار احتقارهم له.

ولم يقل: (ارموه)، لأَنَّ الرمي يغلب عليه قصد الإصابة أو توجيه الشيء نحو هدف، وليس هذا هو المقصود في الآية .

فالانزياح الدلالي هنا هو ما حدد اخيار هذا الفعل بدلاً عن بقية أَفعال الحقل الدلالي التي حددنا معانيها .

ومما ورد في سياق القصة والحادثة الفعل (أَلقى) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ ﴾(٣).

يظهر في هذا الموضع ملمح دلالي دقيق يستحق الوقوف عنده؛ إذ انتقل السياق بعد قولهم: ﴿ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا ﴾ إلى قول أَحدهم: ﴿ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ . فعدل عن (طرح) إلى (أَلقى)، ولم يكن هذا العدول اعتباطًا، وإنَّما اقتضته طبيعة المقام.

المعنى السياقي هنا كان المقترح الأَول يقوم على إبعاد يوسف _عليه السلام_ وإلقائه في أَرض مجهولة، وهو ما تحقق بالفعل (طرح)؛ لما فيه من معنى الإبعاد والترك. أَمَّا حين اقترح أَحدهم إلقاءه في غيابة الجب، أَصبح المقصود وضعه في موضع معين داخل البئر ليجده بعض

(١) ينظر: جامع البيان: ١٥ / ٥٦٣ .
(٢) ينظر: معالم التنزيل: ٢ / ٤٧٨، والمحرر الوجيز: ٣ / ٢٢٢، وروح المعاني: ٦ / ٣٨٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠ .

السيارة، فناسب ذلك الفعل (أَلقى)؛ لأَنَّه يدل على مجرد الإيصال إلى المكان دون أَنْ يتضمن معنى الإبعاد المطلق الذي يفيده (طرح)، إذ قد حصل الإبعاد المنشود أَول الأَمر وتحققت الغاية المرجوة فما يأتي بعد هذا الإبعاد سيكون غير ذي تأثير، لأَنَّ إبعاد سيدنا يوسف عن سيدنا يعقوب _ عليهما السلام _ قد حصل بالفعل، لذلك ترى القرآن الكريم قد ذكر الحدث نفسه مع فعل مغاير تمامًا في موضع آخر، واختار فعلاً لا يمثل أَفعال الإلقاء والتي نسميها عادة بأَفعال الحقل الدلالي، فجاء بالفعل (يجعلوه) حيث قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

وسر العدول من (طرح) إلى (أَلقى): إذ لو قال: واطرحوه في غيابة الجب، لأَوهم التعبير معنى الإبعاد وتركه لمصيره بوصفه الغاية النهائية، بينما كانت الغاية من إلقائه في البئر هو ايداعه في مكان يحفظه ليبقي احتمال نجاته قائمًا، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ فكان (أَلقى) أَدق؛ لأَنَّه يصف عملية الإيصال إلى الجب .

والانزياح الدلالي يكشف المقارنة بين الآيتين أَنَّ القرآن يفرق بين الطرح والإلقاء بصورة مذهلة تتجلى في عظمة هذا الكتاب، إذ استعمل الطرح ليتجه إلى تصوير الإبعاد والمفارقة، أَمَّا الإلقاء فيتجه إلى تصوير مجرد إيصال المُلقَى إلى موضع معين، ولذلك جاء كل فعل في موضعه وفق مقتضى السياق، مما يؤكد أَنَّ أَفعال الإلقاء في القرآن ليست مترادفة، وإنَّما هو اختيار لأَداء وظيفة دلالية خاصة .

(١) سورة يوسف، الآية: ١٥ .

نتائج البحث والخاتمة

أَظهرت الدراسة أَنَ أَفعال الإلقاء في القرآن الكريم تمثل حقلًا دلاليًا متماسكًا، يجمع بين وحدة الأَصل اللغوي وتنوع الاستعمال السياقي، وإِنَّ هذا التنوع لم يكن من قبيل الترادف، بل كان مظهرًا من مظاهر الإعجاز البياني في اختيار اللفظ القرآني.

كما بينت الدراسة أَنَّ الانزياح الدلالي لم يؤدِ إِلى انقطاع الصلة بين المعنى الأَصلي والاستعمال السياقي، وإِنَّما أَسهم في توسيع الدلالة بما يتلاءم مع مقتضيات المقام، وهو ما يكشف عن دقة التعبير القرآني، ويؤكد أَنَّ لكل فعل مجاله الذي لا يؤديه غيره بالقدر الذي يؤديه الفعل المختار في موضعه .

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

· لا يقع الترادف المطلق بين أَفعال الإلقاء في القرآن الكريم، وإِنَّما يختار كل فعل وفق مقتضى السياق .

· يمثل الفعل (أَلقى) الأَصل الدلالي لهذا الحقل؛ لاتساع مجاله واستعماله في الإلقاء الحسي والمعنوي .

· يمتاز (رمى) بإبراز قصد التوجيه نحو هدف معين، واستعمل فيمن يتهم الآخرين في الرذيلة .

· يمتاز (قذف) بإفادة معنى القوة والغلبة في الفعل، ولم يستعمل في القرآن الكريم بمعنى الاتهام الذي يصيب عفة الآخرين كما في السنة النبوية على عكس الفعل (رمى) الذي حقق هذا المعنى وجاء به .

· ينفرد (نبذ) بدلالة الإعراض، أَو الإهانة المصاحبة للإلقاء.

· ومعنى (طرح) يفيد معنى الإبعاد .

· أَسهم الانزياح الدلالي في توسيع مجالات هذه الأَفعال، مع احتفاظ كل فعل ببعض ملامحه الأَصلية التي جعلت الاختيار يقع عليه من بين بقية أَفعال الحقل الدلالي .

· دل الاستقراء على أَنَّ السياق هو العنصر الحاكم في توجيه دلالة الفعل واختيار أَحد الأَلفاظ دون غيره .

ثبت المصادر والمراجع

· أَسباب نزول القرآن: أَبو الحسن، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأُولى، ١٤١١ هـ .

· الإقناع: أَبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الطبعة: الأُولى، ١٤٠٨ هـ .

· تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد الحسيني، أَبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) مجموعة من المحققين .

· التحقيق في كلمات القرآن: الشيخ المفتي حسن المصطفوي، جامعة أُم البنين الالكترونية (١٤ مجلدًا) https: / / omalbanin.com / library / details / 65

· تفسير المراغي: أَحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأَولاده بمصر، الطبعة: الأُولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

· تفسير مقاتل بن سليمان: أَبو الحسن مقاتل بن سليمان الأَزدي (ت ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأُولى - ١٤٢٣ هـ .

· تهذيب اللغة: محمد بن أَحمد بن الأَزهري الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأُولى ٢٠٠١م .

· جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير، أَبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: أَحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأُولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

· جمهرة اللغة: أَبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأَزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأُولى، ١٩٨٧م .

· دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: محمد ياس خضر الدوري، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان .

· روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الأَلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأُولى، ١٤١٥ هـ .

· زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أَبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأُولى - ١٤٢٢ هـ .

· سنن ابن ماجه: ابن ماجة أَبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أَبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إِحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .

· السنن الصغير للبيهقي: أَحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أَبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أَمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإِسلامية، كراتشي باكستان، الطبعة: الأُولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

· الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أَبو نصر إِسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أَحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

· الفروق اللغوية: أَبو هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

· كتاب العين: الخليل بن أَحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د . مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال .

· الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أَبو القاسم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .

· لسان العرب: محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأَنصاري (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .

· المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أَبو محمد عبد الحق بن عطية الأَندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأُولى ١٤٢٢هـ.

· المحكم والمحيط الأَعظم: أَبو الحسن علي بن إِسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأُولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

· مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: دار أَصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الحادية عشرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

· معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أَبو محمد الحسين الفراء البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إِحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأُولى، ١٤٢٠ هـ .

· معجم مقاييس اللغة: أَحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

· نزهة الأَعين النواظر في علم الوجوه والنواظر: جمال الدين أَبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان / بيروت، الطبعة: الأُولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

· نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إِبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أَبو بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .